مكتبة تخصصية
تاريخ الإسلام والحضارة
١٣٣٠

المورد

ة تراثية فصلية محكمة

رها دار الشؤون الثقافية العامة ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ جمهورية العراق

د الثامن والعشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

رئيس التحرير
الدكتور محمد عبد المطلب البكاء

الهيأة الاستشارية

الاستاذ هلال ناجي

أ . د . سامي مكي العاني

أ . د . محمود عبد الله الجادر

أ . د . عماد عبد السلام رؤوف

الاستاذ اسامة النقشبندي

مدير التحرير

د. هدى شوكت بهنام

سكرتير التحرير

د . مي فاضل الجبوري

التصميم والاخراج الفني

جنان عدنان

التصحيح اللغوي

نجلة محمد

☐ عنوان المراسلة

☐ دار الشؤون الثقافية العامة ـ الاعظمية

ص. ب ـ ٤٠٣٢ ـ بغداد

جمهورية العراق

في هذا العدد

اندلعت ثورة العشرين ، الثورة القومية ، العربية ، الشعبية إثر إعلان بريطانيا عن نيتها فرض الانتداب تنفيذاً لمقررات مؤتمر سان ريمو ، فقد نشبت الثورة ضد الاحتلال البريطاني ، وضد سياسة التجزئة التي عمدت القوى الاستعمارية الكبرى الى تنفيذها ، وبذا تعد هذه الثورة واحدة من سلسلة الثورات التي شهدها الوطن العربي ابتداءً من عام ١٩١٩ تعبيراً عن رفض الامة العربية للاستعمار والتجزئة البغيضة والتي شكلت بمجملها انعكاسات استراتيجية واضحة على الصعيدين العربي والعالمي بعد أن أثرت في الموقف العام للاستعمار البريطاني البغيض في المنطقة ، وفي وضعه السياسي والعسكري في العالم ..

إن احدى أهم نتائج الثورة ، هو ماظهر من وحدة صف وطني في الدفاع عن حرية العراق واستقلاله على الرغم من كل المحاولات البريطانية الخبيثة التي كانت تعمل جاهدة على تغذية ما من شانه إحداث شرخ في صفوف أبناء الشعب الواحد الموحد .

وفي مواجهة الثورة ، حشد المحتلون البريطانيون أعداداً ضخمة من الجنود المجهزين بأحدث الاسلحة ، إلا أن ذلك لم يحل دون وقوع خسائر بشرية ومادية فادحة في صفوف المحتلين ، فقد ذهبت بعض التقديرات الغربية الى أن ثورة العشرين كلفت بريطانيا عشرات آلاف من القتلى والجرحى في حين قدر جورج انطونيوس في كتابه (يقظة العرب) أنها كلفت بريطانيا ، فضلاً عن الاصابات أربعين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية .

ملف العدد : ثورة العشرين ص٣٧ ـ ٦١ .

الاسعار: العراق ٢٥٠ ديناراً، الاردن: ديناران، الامارات: ٣٠ درهماً، اليمن: ٣٠ ريالاً، مصر: ٣ جنيهات، ليبيا: ثلاثة دنانير، الجزائر: ٦٠ ديناراً، تونس: ديناران، المغرب: ٣٠ درهماً.

المشاركة السنوية: ٥٥ دولاراً في الدول العربية، ٨٠ دولاراً في دول العالم الاخرى.

www.dorat-ghawas.com

مقابسات في الفلسفة الصوفية

ملاحظات حول ترجمة اربري

لـ « نصوص النفري »

القسم السابع

عزيز عارف
بغداد

تمهيد :

الشيخ محمد بن عبدالجبار النفري (ت ٣٥٤ هـ/٩٦٥ م) صوفي فيلسوف ، لا نعرف عن حياته الا النزر اليسير . ويعود الفضل في التعريف به وبكتابيه النفيسين (المواقف) و (المخاطبات) الى المستشرق الانكليزي الاستاذ آرثر يوحنا آربري (١٩٠٥ - ١٩٦٩) حيث قام بتحقيق هذين الكتابين وترجمهما الى اللغة الانكليزية وقدم لهما بدراسة قيمة وعلّق على أغلب نصوصهما تعليقات مفيدة ، وصدرا في القاهرة سنة ١٩٣٤ عن دار الكتب المصرية ، ثم أعادت طبعهما بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد .

وترجمة الاستاذ آربري لكتابي المواقف والمخاطبات رائعة الاسلوب الا أنها تفتقر الى الدقة احياناً ، وقد تفوته احياناً دلالة بعض نصوص النفري وعمق معانيها .

ولقد عرضت ، على سبيل التمثيل بعضاً من هذه النصوص في مجلة المورد الغراء (الأعداد : ٣/١٩٨٨ ، ١/١٩٨٩ و ١/١٩٩٤ و ١/١٩٩٥) وسأعرض هنا بعضاً آخر منها مع ترجمة الاستاذ آربري لها بالانكليزية وسنرى كيف ان هذه الترجمة قد ابتعدت عن المعنى الصوفي العميق الذي أراده النفري وقصد اليه .

www.dorat-ghawas.com

(١)

ـ القضاء والقدر ـ

نص النفري[١]

« ياعبد ! تُبْ اليَّ مما أكره ، أقدّر لك ما تُحب »

ترجمة آربري[٢]

« Turn to me from that which I hate and I will put in thy power that which thou lovest »

استدراك وتعليق

١ ـ نلاحظ ان الاستاذ آربري ذهب في ترجمته للعبارة « أقدّر لك » الى معنى « سأجعل في قدرتك » ـ (I will put in thy power) فهي هنا من القدرة اذن .

اما الذي نراه فهي من القضاء والقدر لا من القدرة . ويمكن ان تفهم العبارة (أقدّر لك) بمعنى اهيىء لك سبيل ما تحب ,دون اي عناء او توقع منك ، ودون اي قدرة عندك .

٢ ـ ولعل منْ يتساءل : او ليس من قضاء الله وقدره ان يمنح الانسان القدرة على نوال ما يحب ؟

بلى : ولكن القضاء والقدر من علم الغيب وميدانه رحب جد واسع ماله من حدود .

ويرد القدر في نص النفري مطلقاً غير محدّد ، اما تحديده بالقدرة (كما يرد ذلك في ترجمة آربري) فليس له ما يبرره .

(٢)

ـ (ديوان العرض) ـ

نص النفري[٣]

« يا عبد ! كل مقال تعلّق بمعقول او خيال ممثول فهو في ديوان العرض ، حُسْنه في الحَسَن وقُبحه في القبيح » ـ

ترجمة آربري[٤]

« Every speech is connected with an intelligible object or a Similified fancy : it is in the register of accident , its beauty in the beautiful , and its ugliness in the ugly »

استدراك وتعليق

جاءت ترجمة الاستاذ آربري لهذا النص بعيدة كل البعد عن المعنى الذي أراده النفري وقصد اليه ، والأمر يحتاج الى شيء من الشرح .

١ ـ إن عبارة (ديوان العرض) الواردة في نص النفري ظهرت في ترجمة اربري على النحو التالي :
(The register of accident) بمعنى (سجل الحدث العارض) اي الصدف والحوادث العارضة . ومن هنا وقع الخلل في الترجمة .

٢ ـ والذي نراه ان النفري اراد أن يقول : ان كل قول او عمل يصدر من الانسان ، حتى الخاطر يخطر له ، يكتب له او عليه . يكتب ان كان حسناً في صحيفة الأعمال الحسنة ، وان كان سيئاً ففي صحيفة الأعمال السيئة . هذا هو سجل أعمال الخلق ، او ديوان العرض ، يُعرض على الله يوم القيامة فيقدّر لهم ما يستحقون من ثواب او عقاب . والى هذا المعنى قصد الشيخ النفري وليس كما ذهبت اليه الترجمة .

٣ ـ ويشير نص النفري ـ كما نرى ـ الى قوله تعالى : « ويوم نسيّرُ الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادرْ منهم أحداً ، وعُرضوا على ربك صفا ، لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة ، بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احداً »[٥] .

٤ ـ وفي كتاب (تفسير القرآن العظيم) لابي محمد سهل بن عبدالله التستري نقرأ مايلي :

« قوله تعالى : ـ (فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره) ـ قال : لما نزلت هذه الاية خطب رسول الله (ﷺ) فقال في خطبته : ألا وان الدنيا عَرَضٌ حاضر يأكل منه البرّ والفاجر ، الا وان الآخرة اجل صادق يقضي فيها ملك قادر ، الا وان الخير كله بحذافيره في الجنة ، ألا وان الشر كله بحذافيره في النار ، الا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، وأعلموا انكم معرضون على أعمالكم ـ (فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ، ومنْ يعمل مثقال ذرة شراً يره)[٦] .

٥ ـ ويقول الشيخ ابراهيم بن أدهم :

« .. ينبغي للعبد ان يزن نفسه قبل أن يوزن ، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، ويتزين ويتهيأ للعرض على الله العلي الأكبر »[٧] .

٦ ـ ويصور لنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتابه (الفتح الرباني) مشهد يوم العرض **تصويراً** جميلاً فيقول :

« ... ما منكم الا من يُؤتى به يوم القيامة ومعه ملائكته الذين كانوا موكلين به في الدنيا ، يكتبون عليه حسناته وسيئاته ومعهم تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل منها مد البصر ، فيها حسناته وسيئاته وجميع ما صدر منه .. اذا جحد أحدكم ما في سجلاته نطقت جوارحه بما فيها ، تنطق كل جارحة على حدة بجميع ما عملته في الدنيا .. »[٨] .

www.dorat-ghawas.com

(٣)

ـ صحائف الاعمال ـ

نص النفري[٩]

« يا عبد ! لك وعليك في ديوان العرض ، كثر مالك ، وكثر ما عليك »

ترجمة آربري[١٠]

« Thou hast credit and debit in the register of accident : much is thy credit , and much thy debit »

استدراك وتعليق

لنا على ترجمة الاستاذ آربري ملاحظتان :

الملاحظة الاولى :

ان عبارة (ديوان العرض) الواردة في نص النفري تعني ـ كما أوضحنا في الفقرة السابقة ـ صحائف اعمال الانسان ، حسناته وسيئاته تعرض يوم القيامة .

اما الترجمة فقد جاءت بمعنى سجل الأحداث العارضة : « the register of accident » وهي كما ترى بعيدة كل البعد عن معنى النص .

الملاحظة الثانية :

ان العبارة الواردة في نص النفري (كثر مالك وكثر ما عليك) جاءت في ترجمة الاستاذ آربري على جهة الاخبار اي « قد كثر مالك وقد كثر ماعليك » ولكن الذي نراه ـ وكما يبدو من سياق نص النفري ـ ان هذه العبارة تعني : « مهما كثر مالك ، ومهما كثر ما عليك » اي ان صحائف اعمال الانسان تُحصي للانسان حسناته مهما كثرت ، وتُحصي عليه سيئاته مهما كثرت .

(٤)

ـ حركات الجوارح ـ

نص النفري[١١]

« لابد أن تتحرك عادة ، فاذا تحركت عادة فمالك أدب » ـ

ترجمة آربري للنص[١٢]

« There is no help but that thou must be unstable in habit : and if thou art ustable in habit ; thou hast no manners » ـ

تفسير آربري لنص النفري[١٣]

« Man inevitably regards his harakat as the product of habit : but this is an error , for God is really the muharrik »

نقد تفسير آربري

١ ـ يفسر الاستاذ آربري نص النفري على النحو التالي : يحسب الانسان حتماً ان حركاته انما هي عادة تعودها ، وهذا ظن خاطيء منه ، ذلك أن حركات الانسان ، في الحقيقة ، انما هي من فعل المحرك لها وهو الله » .

٢ ـ والذي نراه ان هذا التفسير بعيد كل البعد عن المعنى الذي أراده النفري وقصد اليه . والامر يحتاج الى شيء من الشرح .

٣ ـ ما معنى عبارة النفري : « لابد أن تتحرك عادة » ؟ الذي نراه ان النفري يشير هنا الى (الصلاة) وهي تؤدي عادة بحركات الجوارح من قيام وركوع وسجود . والصلاة فرض واجب على كل مسلم ومسلمة ، ولابد من ادائها بالحركات كما تقضي الشريعة بادائها ، وهذا هو المعنى الذي اشار اليه النفري بقوله « لابد ان تتحرك عادة » .

٤ ـ ما معنى عبارة النفري « فاذا تحركت عادة فمالك أدب » ؟ الذي نراه ان النفري أراد ان يقول : اذا تعود المصلي أن تكون صلاته محض حركات فقد أساء الادب مع الله . ذلك ان الصلاة في حقيقتها ليست هي الحركات ، انما هي اتصال بين قلب العبد وربه .

٥ ـ ويؤكد النفري هذا المعنى بعد هذا النص مباشرة : « صلاتك لما يوقفك او يُعجلك ، وقصدك لما يحادثك او تحادثه »[١٤] .

٦ ـ والصلاة ، كما ينبغي ان تكون الصلاة ، انما هي مناجاة بحضور مع الله .

يقول الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه « الفتوحات المكية » : « .. المراد من المصلي الحضور مع الله فلا يحتاج .. الا أن يعرف أنه بين يدي ربه يناجيه »[١٥] .

ويقول : « .. المصلي يناجي ربه »[١٦] ويقول : « .. فكل مصل يتحدث في صلاته مع غير الله في قلبه فما هو المصلي الذي يناجي ربه »[١٧] .

(٥)

ـ عقود السر ـ

نص النفري[١٨]

« لاتكن بالعقود فيحل ما عقدت ، ولا تكن بالعهود فيخفر ما عاهدت » .

ترجمة آربري[١٩]

« Abide not with compacts , or that which thou hast Compacted will be loosened : abide not with treaties , or that for which thou hast made treaty will be violated .

www.dorat-ghawas.com

استدراك وتعليق

نرى ان ترجمة الاستاذ آربري لنص النفري جاءت من وجهة النظر اللغوية صحيحة ورائعة الاسلوب ، غير أنها من وجهة النظر الصوفية لا تؤدي المعنى الذي أراده النفري وقصد اليه . والأمر يحتاج الى بعض التوضيح .

١ ـ ان العقود (Compacts) والعهود (treaties) كما وردت في ترجمة الاستاذ آربري تعني الاتفاق بين طرفين او اكثر على القيام بعمل او الامتناع عن عمل ، وهو اتفاق ملزم لأطراف المتعاقدين والمتعاهدين جميعاً .

اما (العقود) و (العهود) التي وردت في نص النفري فهي عقود وعهود السر التي يعقدها العبد بقلبه او يتعهدها بلسانه بينه وبين ربه ان يفعل كذا او لا يفعل كذا .. وهي كما ترى عقود وعهود من جانب واحد ، صادرة منه وملزمة له ، وليست اتفاقاً بين جوانب متعددة كما يظهر معناها في ترجمة الاستاذ آربري .

٢ ـ ما معنى نص النفري ؟

الذي نراه ان النفري اراد أن يقول : اياك ايها الانسان ان تعقد في سرك عقدا او تعهد عهداً بينك وبين ربك ، حذر أن لاتستطيع الوفاء بعقدك فتنقض حينئذ عهدك مع الله من بعد ميثاقه فتكون من الخاسرين . ثم أنت ايها الانسان كيف قدّرت أنك ستفي بعهدك وقدرتك محدودة ، ومالك سوى الساعة التي أنت فيها ، كيف تجرّأت فقدّرت ؟ ألا تخشى مكر الله ؟ ألا تخشى ان يحل ماعقدت العزم عليه ؟ وأن ينقض ما عاهدت عليه ؟

« قيل لحكيم : بم عرفت الله ؟ فقال :

بحل العقود وفسخ العزائم »[٢٠] .

٣ ـ ولعل أوضح تفسير لنص النفري ما قاله الشيخ الصوفي محمد بن يعقوب الفرجي :

«منذ ثلاثين سنة ما عقدت بيني وبين الله عز وجل عقداً مخافة أن يفسخ عليّ ذلك فيكذبني على لساني »[٢١] .

(٦)
ـ عقد القلب ـ

نص النفري[٢٢]

« كذب اللسان أن يقول مالم يقل ، وأن يقول ولا يفعل . وكذب القلب أن يعقد فلا يفعل »

ترجمة آربري[٢٣]

« The lie of the tongue consists in its sayiny what has never been said , and in saying and not doing : the lie of the heart consists in its believing and not doing .

استدراك وتعليق

١ ـ نلاحظ ان العبارة الواردة في نص النفري « وكذب القلب ان يعقد فلا يفعل » جاءت في ترجمة آربري بعيدة عن المعنى الذي اراده النفري وقصد اليه ، والأمر يحتاج الى شيء من الشرح .

٢ ـ ذهب الاستاذ آربري في ترجمته الى أن (عقد القلب) هنا يشير الى الاعتقاد او العقيدة بمعنى الايمان بشيء « believing » .

والذي نراه ان (عقد القلب) في اشارة النفري يعني : ان يتعهد الانسان سراً فيما بينه وبين ربه ، ان يلزم نفسه بعمل او ترك عمل ، فيما هو مباح له ، وغير ملزم له شرعا . فان فعل ما ألزم نفسه به كان صادق القلب ، وان لم يفعل كان كاذب القلب .

٣ ـ في (لسان العرب) لابن منظور ـ مادة (عقد) :

« والعقد : العهد ، والجمع عقود .. وعقد قلبه على الشيء : لزمه » .

وفي كتاب اللمع للسراج : « والعقد » عقد السر ، وهو ما يعتقد العبد بقلبه بينه وبين الله تعالى أن يفعل كذا او لا يفعل كذا .. »[٢٤] .

ويتحدث ابن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) عن علم الحروف وما للحروف من أثر يشبه الفعل بالهمة ويقرر أنه علم شريف في نفسه الا أن السلامة منه عزيزة فالاولى اذن تركه . يقول عن نفسه : « ولولا اني آليت عقدا ان لا يظهر مني أثر عن حرف لأريتهم من ذلك عجبا »[٢٥] .

٤ ـ ويفرّق الصوفية بين الخواص والعوام فيقولون :

ان العامة من المؤمنين قد أوجب الله عليهم الوفاء اذا عهدوا بألسنتهم عهداً ، اما الخواص فقد أوجب الله عليهم الوفاء اذا عقدوا بقلوبهم عقداً »[٢٦] .

ويذهب الشيخ محيي الدين بن عربي في عقد القلب ، مذهبا بعيداً قد يبدو لنا غريبا بعيداً عن المعقول ، ولكنه في الحقيقة لا يخرج عن هذا المفهوم المعروف عند الصوفية .

في كتابه (الفتوحات المكية) يتحدث ابن عربي عن الخواطر الشيطانية وكيف أن الشيطان يستدرج العارف احياناً الى فعل امر من الطاعات ، فاذا نوى العارف ذلك وعزم عليه وعقد بقلبه عقداً مع الله ولم يبق الا الفعل ، اقام له دون علمه عبادة اخرى افضل منها شرعاً فينصرف العارف الى هذا الفعل الثاني ، ويترك الفعل الاول ، وهو لا يدري انه بتركه هذا قد نقض العهد الأول مع الله من بعد ميثاقه[٢٧] .

٥ ـ ومن الجدير بالملاحظة ان الاستاذ اربري ـ عند ترجمته لكتاب المخاطبات للنفري ـ قد فطن الى ان (عقد القلب) لا يعني العقيدة او الايمان وانما يعني : (النية والعزم)

www.dorat-ghawas.com

« determines .. determination » على النحو المثبت في ترجمته للنصين التاليين :

النص الاول[٢٨] :

« يا عبد ! قلب انظر فيه لا يعقد على حسنة ولا يصر على سيئة » .

ترجمة آربري[٢٩] :

« A heart into which I look determines not upon any good , nor persists in any evil deed »

النص الثاني[٣٠] :

« يا عبد ! قل لقلبك ، عقدك قصد ، واصرارك قصد ، وأنت ابن الاختلاف » .

ترجمة آربري[٣١] :

« Say to thy heart : thy determination is an aim , and thy persistence is an aim , and thou art the son of contrariety »

(٧)

ـ القلب ينقلب ـ

نص النفري[٣٢]

« القلب ينقلب ، قلب القلب لا ينقلب » .

ترجمة آربري[٣٣]

« the heart is moved , but the heart of the heart is not moved »

استدراك وتعليق

١ ـ هذه الترجمة ـ كما نرى ـ لا تؤدي هنا المعنى الذي اراده النفري وقصد اليه ، فالترجمة تقول :

القلب **محرك** ، اما قلب القلب فليس **بمحرك** » ، وفرق ، أي فرق ، بين تقلب القلب من حال الى حال ـ كما في نص النفري ـ وبين حركة القلب الدائمة **المألوفة** ، ـ **كما يفهم من ترجمة آربري** .

٢ ـ سنرى لاحقاً كيف ان الاستاذ آربري قد فطن الى هذا المعنى فترجم ، في نص اخر للنفري ، (تقلب) القلب Changeability على وجه ملائم لمعنى النص (انظر الفقرة اللاحقة رقم ـ ٨ ـ) .

ما معنى نص النفري ؟

يفرق الشيخ النفري هنا بين (القلب) وبين (قلب القلب) اما القلب فيتقلب مع هواه ، يتحول أبدا من حال الى حال . واما قلب القلب فهو القلب المطمئن ، الثابت على الايمان .

ويذهب محيي الدين بن عربي في كتابه (الأسفار)[٣٤] الى أن للقلب قلبا هو الفؤاد ، وللقلب رؤية ، ولقلب القلب (الفؤاد) رؤية .

اما رؤية القلب فيدركها العمى . قال تعالى : « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »[٣٥] .

واما الفؤاد فلا يعمى . قال تعالى : « ما كذب الفؤادُ ما رأى »[٣٦] .

ويقول ابن عربي في (كتاب نقش الفصوص) : « القلب يتقلب في الخواطر ولذلك قال [تعالى] : (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ولم يقل عقل لأن العقل يتقيد بخلاف القلب »[٣٧] .

وفي خواطر القلوب ، يقول الشيخ الصوفي أبو تراب النخشبي : « ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب »[٣٨] وفي تقلب القلب يقول ابن عربي في (كتاب التجليات) : « .. والقلب لاثبات له على حال ، سريع التقلب ، ما سمي القلب الا من تقلبه »[٣٩] .

ويقول (سمنون المحب) في ضياع قلبه[٤٠] :

كان لي قلب أعيش به
ضاع مني في تقلبه

وفي كتاب (تفسير القرآن الكريم) المنسوب للشيخ محيي الدين بن عربي نقرأ مايلي :

« قال النبي عليه الصلاة والسلام : (اللهم ثبت قلبي على دينك) فقيل له : اما غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر ، قال : وما يؤمنني ؟ ان مثل القلب كمثل ريشة في فلاة تقلبها الريح كيف شاءت »[٤١] .

وفي هذا المعنى يقول (ابن قيم الجوزيه) في كتابه « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » :

« وقد قال الله تعالى لأكرم الخلق عليه وأحبهم اليه .

ـ (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً) ـ ولهذا كان من دعائه :

« يا مقلب القلوب ، ثبّت قلبي على دينك » وكانت أكثر يمينه : « لا ، ومقلب القلوب »[٤٢] .

(٨)

ـ تقلب القلب ـ

نص النفري[٤٣]

« إستغفرني من فعل قلبك أكفك تقلبه » .

ترجمة آربري[٤٤]

« Ask Forgiveness of me for the act of the heart , and I will rid thee of its changeability »

استدراك وتعليق

www.dorat-ghawas.com

١ ـ يترجم الاستاذ اربري هنا (تقلب) القلب its Changeability ـ على وجه يتلاءم ومعنى النص . وقد رأينا في الفقرة السابقة رقم (٧) ، كيف ذهب في ترجمة تقلب القلب بمعنى (حركة القلب) .

٢ ـ ومن الجدير بالملاحظة هنا ان العبارة الواردة في نص النفري ـ (فعل قلبك) ـ جاءت في ترجمة اربري بمعنى : (فعل القلب) . The act of the heart ـ وهي ترجمة تفتقر الى الدقة ـ كما نرى ـ ويا حبذا لو جاءت على النحو التالي : (the act of thy heart) .

٣ ـ ان هذا النص ـ كما يقول لنا النفري ـ انما هو خطاب صادر من الحق ، موجه الى (واقف) اوقفه الحق في موقف (أنا منتهى اعزائي) فلابد اذن ان ينقل الخطاب كما هو دون اي زيادة او نقصان .

ما معنى نص النفري ؟

١ ـ (فعل القلب) يعني عند الصوفية ما يعتمل في القلب من الخواطر والنيات والمقاصد والعهود والهمم والعزائم .

٢ ـ ويفرق الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه (انشاء الدوائر) بين (عمل القلب) وبين (حركة القلب) .

اما عمل القلب (القصد والارادة) فهو من عالم الغيب ، وأما حركة القلب فهو من عالم الشهادة[٤٥] .

٣ ـ ولعل أوضح تفسير لنص النفري قول الشيخ الصوفي (ابو تراب النخشبي) : « ليس من العبادات شيء أنفع من اصلاح خواطر القلوب »[٤٦] .

(٩)

ـ العبادة للآخرة ـ

نص النفري[٤٧]

« يا عبد ! عكوفك على الدنيا أحسن من عبادتك للآخرة » .

ترجمة آربري[٤٨]

« Thy attention to this world is nobler than thy enslavement to the next world »

استدراك وتعليق

١ ـ نلاحظ ان كلمة (أحسن) في نص النفري جاءت على ارادة التفضيل بمعنى (اولى او أفضل) .

أما الاستاذ اربري فقد ترجم كلمة (أحسن) بمعنى (أشرف او أنبل ـ nobler) ، ومن هنا فقد اعطى العكوف على الدنيا صفة التشريف وسمو المنزلة ، وهذا المفهوم غريب ، يتعارض مع الفكر الصوفي الذي يحط من قدر الدنيا ويقلل من شأنها ويدعو الى نبذها والزهادة فيها .

٢ ـ ويستقر في ضمائر الصوفية ويرسخ في أذهانهم ويتردد على ألسنتهم قول الله عز وجل :

« وما الحياة الدنيا الا لعبٌ ولهو »[٤٩] .

ولا يغيب عن بالهم قول الرسول الأمين محمد (ﷺ) : « عُرضت عليّ الدنيا فابيتها »[٥٠] . وهم لايفتأون يرددون ما جاء في الحديث الشريف .

« الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ما أبتغي به وجه الله عَزَّ وجل »[٥١] وقوله (ﷺ) « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »[٥٢] وقوله صلى الله عليه وسلم

« لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة ماء »[٥٣] .

اذا كان هذا حال الدنيا عند الصوفية فكيف يمكن اذن ان يكون العكوف عليها (اشرف) من العبادة للآخرة ـ كما في ترجمة آربري ـ ؟

٣ ـ ويقول الاستاذ آربري (في شرحه لهذا النص) إنه رائع ، يبدو ـ اول وهلة ـ متناقضاً ولكنه في حقيقته انما يؤكد دناءة من يفكر في طلب الاجر قبل ان يباشر عملاً يؤجر عليه .

وتقتضينا الأمانة ان نُثبت كلمات آربري كما هي بالأصل[٥٤] « A Splendid paradox, emphasising the base ness of considering the reward before entering upon an action »

ان هذا الشرح ـ كما نرى ـ بعيد عن مفهوم نص النفري ، وهو لا يفسر لنا كيف يكون الاستمتاع بالدنيا أحسن من العبادة طلباً للآخرة .

٤ ـ ما معنى نص النفري ؟

الذي نراه ان النفري أراد ان يقول ان هجران الانسان للدنيا وعكوفه على عبادة الآخرة ، طلباً للثواب ، لا ابتغاء وجه الله سبحانه ، انما يفضي به كل ذلك الى خسرانين : خسران الدنيا وخسران الآخرة .

أما اذا عكف الانسان على الاستمتاع بالدنيا دون ان يقدم عملاً لآخرته ، فقد حظي بالدنيا وحدها ، وخسر خسراناً واحداً ، هو خسران الآخرة .

خسران واحد إذن أحسن للإنسان من خسرانين ونلاحظ ان كلمة (أحسن) في نص النفري جاءت كناية عن الخسران على سبيل التهكم . وليس من شك ان النفري انما يتهكم هنا على من يتجشم عناء العبادة للآخرة وليس في همه الا طلب الاجر على عبادته ، لا ابتغاء وجه الله .

(١٠)

ـ التوبة والرضا ـ

نص النفري[٥٥]

www.dorat-ghawas.com

١ ـ « يسوءك كل ما منك أغفره ، لا يسوءك كل ما مني ، أصرف السوء كله » ـ

٢ ـ إن التزمتَ ما ألزمتك بين هدين كنت ولياً » ـ

ترجمة آربري[٥٦]

1 – « That harms thee which proceeds from thyself , and I forgive it : but that which proceeds from me does not harm thee , for I turn aside harm altogether »

2 – « If thou clingest to that which I have attached to thee between these two , then thou wilt be a friend »

استدراك وتعليق

اولاً ـ هذا النص من الاشارات الصوفية البالغة الدقة في دلالتها ، تبدو لنا عبارة النص قلقةً مضطربةً ، غير أنها في الحقيقة تنطوي على اشارة ذات معنى عميق . ذلك ان الفقرة الأولى من هذا النص تشير الى شرطين ـ كما سنرى ـ اما عبارة النص فقد خلت من أداة الشرط .

ومن المعلوم ان للصوفية لغتهم الخاصة ، يتداولونها فيما بينهم ، فلهم رموزهم ومصطلحاتهم ، ولهم طرائقهم في التعبير ، يتصرفون في أصول اللغة أحياناً فيعمدون الى الحذف والإضافة والتحوير والتأويل .

ويصدق على نص النفري هذا قول الحلّاج :

« مَنْ لم يقف على إشاراتنا ، لم ترشده عباراتنا »[٥٧] ـ

ثانياً : قبل الخوض في معنى النص نقول :

١ ـ ان عبارة النفري « يسوءك كل مامنك اغفره » ـ ينبغي أن تفهم على انها جملة شرطية وأن تقرأ على الوجه التالي : « إن يسؤك كل مامنك اغفره »

ـ (على تقدير لاداة شرط مضمرة هي (إن) الجازمة) ـ ولقد تعمد النفري حذف اداة الشرط من عبارته لأن الجملة مفهومة للصوفية بدون هذه الأداة ، واكتفى باثبات فعل الشرط وجواب الشرط .

٢ ـ وكذلك عبارة النفري : « لايسوءك كل مامني ، أصرف السوء كله » ـ ينبغي أن تفهم على أنها جملة شرطية وأن تقرأ على النحو التالي :

« إن لم يسؤك كل مامني ، أصرف السوء كله » .

ـ (على تقدير لاداة الشرط (إن) المضمرة) ـ

ونلاحظ هنا كذلك ان النفري قد اكتفى بفعل الشرط وجواب الشرط ، أما اداة الشرط (إن) فقد تعمد حذفها لان الجملة مفهومة بدونها .

ثالثاً : مامعنى نص النفري ؟

يشير نص النفري ـ كما نرى ـ الى مقامي (التوبة والرضا) عند الصوفية . أما ترجمة الاستاذ آربري فقد فاتها هذا المعنى ، فجاءت بعيدةً عن أي مفهوم صوفي ، والأمر يحتاج الى شيء من الشرح .

١ ـ عبارة النفري « يسوءك كل مامنك أغفره »

معناها : إن أذنبت فساءك ذنبك وأهمّك وغمّك فندمت على ما كان منك وتبت منه فان الله غفور رحيم . وهذا مقام التوبة ، وهو « أول مقام من مقامات المنقطعين الى الله تعالى » كما يقول الشيخ يوسف بن حمدان السوسي[٥٨] .

٢ ـ أما عبارة النفري : « لا يسوءك كل ما مني ، أصرف السوء كله » فمعناها :

إن قضى الله عليك بالبلاء ، فتقبلْتَ قضاءه راضياً ، لم يسؤك ولم يُسخطْك ، فسيتولاك الله برحمته فيصرف السوء كله عنك .

وهذا مقام (الرضا) وهو آخر المقامات عند الصوفية .

سُئل ذو النون عن الرضا فقال :

« سرور القلب بمُر القضاء »[٥٩]

رابعاً : وبين مقامي التوبة والرضا ثمة مقامات أخر ، كالورع والزهد والفقر والصبر والتوكل . والى هذه المقامات أشار نص النفري :

« إن التزمت ما ألزمتُك بين هذين كنت ولياً » أو لعل النفري وهو يحوّم في فضاء الحقيقة ، قد قصد بقوله « ان التزمت ما الزمتك » الى الالتزام باحكام الشريعة ، و « الحقيقة عين الشريعة » كما يقول الشيخ ابن عربي .

خامساً : ترجمة النص :

أما ترجمة الاستاذ آربري لنص النفري هذا فنلاحظ على الفقرة الأولى منها أنها بعيدة عن مفهوم النص حيث جاءت على النحو التالي :

« ما يصدر منك يسوءك ، واني اغفره لك . أما ما يصدر مني فلا يسوءك ، لاني أصرف السوء كله » ان هذه الترجمة ـ كما نرى ـ لا تدل على اي معنى صوفي ، وهي الى ذلك لاتتلاءم مع الفقرة الثانية من نص النفري : « إن التزمت ما الزمتك بين هذين كنتَ ولياً » ـ وإلّا فأين هو مفهوم (الالتزام) في ترجمة آربري ؟ وباي شيء يلتزم المخاطب ؟ وأين معنى (هذين) ؟ وأين معنى (بين هذين) ؟

الحق ان هذه الترجمة لا تدلنا على مفهوم النص .

www.dorat-ghawas.com

هوامش القسم السابع

● ـ راجع مجلة المورد (الاعداد ـ ١٩٨٦/٢ و ١٩٨٨/٣ و ١٩٨٩/١ و ١٩٩٤/١ و ١٩٩٥/١)

١ ـ النفري (محمد بن عبدالجبار) ـ كتاب المخاطبات ـ ص ١٩٦ .
ـ تحقيق آرثر يوحنا اربري ـ دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ ١٩٣٤ ـ اعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد .

٢ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ترجمة آربري بالانكليزية ـ ص ١٦٧ ـ المخاطبة رقم (٤١) ـ الفقرة (٢) ـ

٣ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ص ١٧٠ .

٤ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ترجمة آربري بالانكليزية ـ ص ١٤٩ (المخاطبة رقم (١٨) ـ الفقرة (٧) .

٥ ـ سورة الكهف (الآيات /٤٧ و٤٨ و٤٩) .

٦ ـ راجع (تفسير القرآن العظيم) ـ سهل بن عبدالله التستري ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة / ١٩٠٨ ـ ص ١٩١ .

٧ ـ ابو نعيم الأصبهاني ـ حلية الأولياء ـ ج ٨ ص ٤٠ .

٨ ـ الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ الفتح الرباني والفيض الرحماني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٩٧٩ ـ ص ١٥٥ .

٩ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ المخاطبة (١٨) ـ ص ١٧٠ .

١٠ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ترجمة آربري بالانكليزية ـ ص ١٥٠ (المخاطبة) (١٨) ـ الفقرة (١٠) .

١١ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ الموقف (٥٠) ـ ص ٨٢ ـ

١٢ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ترجمة آربري بالانكليزية ص ٨٦ ـ الموقف (٥٠) الفقرة (٦) .

١٣ ـ راجع تعليقات اربري بالانكليزية على كتاب المواقف ـ ص ٢٣٣ (الموقف (٥٠) ـ الفقرة (٦) .

١٤ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص٨٢ .

١٥ ـ ابن عربي ـ الفتوحات المكية ـ ج ١ ص ٤٥١ (دار صادر ـ بيروت : دون تاريخ) .

١٦ ـ المصدر السابق ـ ج ١ ـ ص ٤١٠ .

١٧ ـ المصدر السابق ـ ج ٢ ـ ص ٤٦٨ .

١٨ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ص ١٧٣ .

١٩ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ترجمة اربري بالانكليزية ـ ص ١٥١ ـ الفقرة (٢١) .

٢٠ ـ السراج ـ اللمع ـ ص ٤٣٠ .

٢١ ـ المصدر السابق ـ ص ٤٣٠ .

٢٢ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ٤٦ .

٢٣ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ترجمة اربري بالانكليزية ـ ص ٦٠ ـ الفقرة (١١) .

٢٤ ـ السراج ـ اللمع ـ ص ٤٣٠ .

٢٥ ـ ابن عربي الفتوحات المكية ـ ج ١ ـ ص ١٩٠ .

٢٦ ـ السراج ـ اللمع ـ ص ٤٣١ .

٢٧ ـ ابن عربي ـ الفتوحات المكية ـ ج ١ ـ ص ٢٨٣ .

٢٨ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ص١٨٠

٢٩ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ترجمة آربري بالانكليزية ـ ص ١٥٦ ـ فقرة (٢١) .

٣٠ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ص ١٨٠ .

٣١ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ترجمة آربري بالانكليزية ـ ص ١٥٦ ـ الفقرة (٢٢) .

٣٢ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ص ١٥٥ .

٣٣ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ترجمة آربري بالانكليزية ـ ص ١٣٩ ـ المخاطبة (٧) ـ الفقرة (١٦) .

٣٤ ـ ابن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ كتاب الاسفار ـ ص ٢١ (تصوير دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ دون تاريخ) .

٣٥ ـ سورة الحج/٤٦ .

٣٦ ـ سورة النجم / ١١ .

٣٧ ـ ابن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ كتاب نقش النصوص ـ ص ٧ .

٣٨ ـ السلمي ـ طبقات الصوفية ـ ص ١٤٩ .

٣٩ ـ ابن عربي ـ رسائل ابن العربي ـ كتاب التجليات ـ ص ٢٤ .

٤٠ ـ السلمي ـ طبقات الصوفية ـ ص ١٩٧ .

٤١ ـ محيي الدين بن عربي ـ تفسير القرآن الكريم ـ ج ١ . ص ٥٩٩ .

٤٢ ـ ابن قيم الجوزية ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت / ١٩٧٧ ـ ص ٤٥٩ .

٤٣ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ٤٧ .

٤٤ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ترجمة آربري بالانكليزية ـ ص ٦١ ـ الفقرة (٥) .

٤٥ ـ محيي الدين بن عربي ـ كتاب انشاء الدوائر ـ ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

٤٦ ـ السلمي ـ طبقات الصوفية ـ ص ١٤٩ .

٤٧ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ص ١٨٦ .

٤٨ ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ترجمة اربري بالانكليزية ـ ص ١٦٠ (المخاطبة (٣١) ـ الفقرة (١) .

٤٩ ـ سورةالانعام /٣٢ .

٥٠ ـ السراج ـ اللمع ـ ص ١٣٤ .

٥١ ـ السيوطي ـ الجامع الصغير ـ ج ١ . ص ١٧ (القاهرة ـ الطبعة الرابعة) ـ

٥٢ ـ المصدر السابق ـ ج ١ ـ ص ١٧ .

٥٣ ـ الجامع الصحيح ـ سنن الترمذي ـ تحقيق كمال يوسف الحوت ـ دار الكتب العلمية بيروت ج ٤ ص ٤٨٥ .

٥٤ ـ تعليقات آربري بالانكليزية على كتاب المخاطبات ـ ص ٢٥١ ـ المخاطبة (٣١) ـ الفقرة (١) .

٥٥ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ٨١ .

٥٦ ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ترجمة اربري بالانكليزية ـ ص ٨٦ (الموقف (٤٩) ـ الفقرتان (١٣ ، ١٤) .

٥٧ ـ انظر كتاب (اخبار الحلاج) تحقيق ماسينيون وكراوس ـ باريس ـ ١٩٣٦ ـ ص ٧٥ .

٥٨ ـ السراج ـ اللمع ـ ص ٦٨ .

٥٩ ـ المصدر السابق ـ ص ٨٠ .

www.dorat-ghawas.com